مجلة الساورة للدراسات الانسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد 08 / العـدد: 02 (2022)، ص 138- 152

دور الزوايا التعليمي في المغرب الأوسط 7-9هـ/13-15م

The Educational Role of Religious Nooks (Zawaya) in the Middle Maghreb 6-9h / 12-15 centuries

أد. هادي جلول[*1]
[1] جامعة عين تموشنت - بلحاج بوشعيب (الجزائر)، hadidjelloul@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/03/12 تاريخ النشر: 2022/12/25

ملخص:

شهد المغرب الأوسط كبقية دول العالم الإسلامي انتشار ظاهرة التصوف، ولا يختلف اثنان حول الدور الهام الذي قامت به الزوايا في اثراء التجربة الصوفية ،وساهم مع الكثير من الدول الإسلامية في تأسيس هذا العلم ،والتنظير له وخدمته، الى جانب الدور الرئيسي الذي لعبه مجموعة من الفقهاء والعلماء الصوفية الذين نشروا التصوف داخل وخارج الوطن ،وأدوا ما عليهم من واجب اتجاه دينهم ووطنهم، ومجتمعهم الذي عاشوا فيه، وتفاعلوا معه، مع قضاياه، ومشاكله، واهتماماته، بل كانوا يمثلون صوت الشعب وضميره الحي في جل الفترات والعهود المتعاقبة ،فقد نادى المتصوفة بالحرية، ونادوا بالثورة على الأوضاع ،ونادوا بالتغيير ،ومارسوا حق تغيير المنكر الذي منحتهم إياه الشريعة الإسلامية.

كلمات مفتاحية: الزوايا.، التصوف.، المغرب الأوسط.، التعليم.، العلماء.

Abstract:

Algeria, like the reste of the Islamic world, has know the spread of Sufisme. There are no différences about the important rôle the nooks played in enriching the Sufi experience, and contributed in many Islamic countries to the establishment of this science and its endoscopy and service. An important role was played by scientists who propagated Sufism in and out of their homeland, and performed their duties towards their religion, their country and society in which they lived, and interacted with its issues, problems and concerns. They represented the voice of people and their living conscience in most successive periods. Moreover they called for change, and have exercised the right to change the ignorance that Islamic law gave them.

Keywords Nooks; Sufism Middle Maghreb; education; keywords;scientists.

[*] المؤلف المرسل

1. مقدمة:

منذ تأسيس المسجد النبوي في المدينة المنورة ومن أجل نشر الإسلام وتربية أهله على تعاليمه، والتفاعل مع مستجدات العصر فكان من الضروري نقل الأنشطة التي تجرى في المساجد الى أماكن أخرى يباح الدخول إليها في كل الأحوال ،فتأسست الكتاتيب القرآنية لتعليم الصبيان، واكتفى في المساجد بإلقاء الدروس العلمية للكبار، ثم أتخذ كل شيخ أو عالم زاوية "ركنا "من زاويا المسجد مقراً خاصاً لإلقاء دروسه والتفرد بتلامذته ومريديه، فكانت كل زاوية تسمى بإسم شيخها ،ونقل بعضهم هذه الدروس تخفيفاً عليه وعلى الطلبة الى بيوت خاصة احتفظت بما كان يطلق عليها في المسجد" زاوية الشيخ فلان"، وبعد ظهور الطرق الصوفية تبنى شيوخها هذا النظام الجديد، واتخذت كل طريقة مقرا لها دُعِيَ زاويةً.. ومع مرور الزمن صار موضوع الزوايا عقدياً وشرعياً من أشد المواضيع حساسيةً وأكثرها إثارةً للجدل بين طوائف الأمة ومذاهبها، لما التبس من أمره في الأذهان، وما مورس تحت مظلته من طقوس، واسْتُحْدِثَ من بدع، عَدَّها البعض شركاً خفياً وآخرون شركاً صريحاً. لذا شكلت عودة نشاط الزوايا أو بالأحرى إعادة بعث دور الزوايا والطرق الصوفية وانخراطها الواسع في الحراك السياسي وعلاقتها بالمجتمع موضوع اهتمام الكثير من الباحثين في تخصصات معرفية عديدة ...ويطرح موضوع الدراسة إشكالية الدور التعليمي للزوايا في المغرب الأوسط في العصر الوسيط ما بين القرنين6-9هـ/12-15م.

منهجية الدراسة: مقدمة، تعريف الزاوية، نشأتها، المؤسسات التعليمية (الزوايا) في المغرب الأوسط، دورها التعليمي، خاتمة.

أهمية الدراسة: تصحيح نظرية وفكرة الزاوية عند الكثير من الناس بأن معناها مزيج من رهبانية ومن فلكلور و شعوذة ودجل وغطرسة وخداع وبركة مغشوشة واحتيال وتخدير للعقول، كل ذلك باسم الدين الإسلامي، ومعرفة دورها التعليمي والديني وما كانت

تقدمه من خدمات للشباب الجزائري .**وأهداف الدراسة:** الدور التعليمي والتربوي لها في هذه الفترة من تاريخ المغرب الاوسط (الفترة الزيانية)،ويمكن أن تكون انطلاقاً لنهضة ثقافية وفكرية في المغرب الأوسط في الفترة المدروسة.

2. تعريف الزوايا: تباينت الآراء حول مؤسسة الزاوية وتشعبت البحوث حول تحديد مفهوم يمكن الاتفاق عليه لتعريفها أو تاريخ محدد لنشأتها إلا أن هذا الاختلاف يتلاشى في مسألة الوظائف التي مارستها ولا تزال تمارسها، فلا خلاف في أن الزاوية مؤسسة دينية، إذ تنطلق من تربية روحية ومعرفية في آن واحد، فالزاوية لم تفصل بين رسالتها الدينية ومهمتها العلمية، بل جعلت من المهتمين معا صورة واحدة للإسلام الصحيح الذي لا يقبل التجزيء او الفصل بين الإيمان والعلم والعمل. ذا أردت أن ألم بموضوع الدراسة إلماما دقيقا، لابد من تحديد مصطلح الزاوية في اللغة والاصطلاح وتطوره عبر الأزمنة.

1.2 لغة: زوى، الزّيُّ مصدر زَوَى الشيء يزْويهِ زيّاً وزُوِيّاَ فانزوى، نحّاه فتنحّى، وزواهُ: قبضه، وزويتٌ الشيء: جمعته وقبضته(ابن منظور،د.ت، ص1894)

2.2 اصطلاحاً: لقد اعتبر بعض المهتمين بالجانب الثقافي والديني في الجزائر، أن الزاوية هي عبارة عن مجموعة من الأبنية ذات الطابع المعماري الإسلامي، وقد بنيت لإداء وظيفة دينية(موبوش،د.ت،ص194).

تعني الزاوية في شمال افريقيا معنى ما يطلق على بناء ديني شبيه بمؤسسة تعليمية(عيمراوي،2006،ص25)،والزاوية هي عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الاشكال والأحجام تشتمل على بيوت للصلاة كمساجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم والعلوم العربية الإسلامية، ومؤسسوها هم من رجال الدين متصوفون. وهي على نوعين: خلواتي يدعي شيوخها المعرفة بأسرار دينية غيبية والنوع الثاني غير خلواتي، لا يدّعى شيوخها المعرفة بالأسرار الدينية و يتخذون لأتباعهم "وردا خاصا "(فويال،2010،ص986)، وتختلف استعمالات لفظ – زاوية – من المشرق إلى المغرب، ففي المغرب ظل استعمال هذا الاسم مرتبطا "بالرباط" يقول محمد حجي: "لم تظهر

الزاوية في تاريخ المسلمين كمركز ديني وعلمي إلا بعد الرباط والرابطة لغة مصدر رابط يرابط بمعنى أقام ولازم المكان، ويطلق في اصطلاح الفقهاء والصوفية على شيئين: أولهما البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد ورد هجوم العدو، والثاني عبارة المكان الذي يلتقي فيه صالحوا المؤمنين لعبادة الله وذكره والتفقه في أمور الدين(حجي،1988،ص81)، والزاوية هي عبارة عن غرفة للصلاة بها محراب وضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلو فيه، وغرف قصرت على تلاوة القرآن، ومكتب أو مدرسة لتحفيظ القرآن، وغرف مخصصة للضيوف والحجاج والمسافرين والطلبة ويلحق بالزاوية عادة قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم بان يدفنوا فيها(الحسيني،2009، ص92).

3. نشأة الزاوية: ظهر مصطلح زاوية في المغرب مرادفاً " للربطة " أي الصومعة التي يعتزل فيها الولي،ويعيش وسط تلاميذه ومريديه،فإن الزاوية أو الربطة ليست في جميع الأحوال هي الرباط، وهو منشأ يخدم غرض آخر كان له في بادئ الأمر طابع حربي(الحسيني،2009، ص93)، وطلق الزاوية على البناية ذات الطابع الديني والثقافي، تقام فيها الصلوات الخمس، فضلا عن الدروس التي كانت تلقى على الطلاب والمريدين، وكانت من بين أهم المؤسسات التعليمية و التثقيفية التي ساهمت بشكل كبير في نشر و تعميم التعليم لدى الشرائح الدنيا في مجتمع المغرب الأوسط(ابن خلدون،2000،ص171)،خاصة في العهد الزياني(بلعربي، 2005، ص226)، عبر عنها ابن مرزوق بقوله " :إن الزوايا هي التي يطلق عليها في المشرق الربط والخوانق، أما الرباط في اصطلاح الفقهاء فهو احتباس النفس في الجهاد والحراسة، وعند المتصوفة الموضع الذي يلتزم فيه للعبادة"،وقال أيضا:"وان الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين"(ابن مرزوق،1981،ص411) ، و بهذه المؤسسة التعليمية الأصيلة يلتف الطلبة المريدون حول الشيخ ،ينهلون منه شتى أنواع الفنون و المعرفة ،و كان ينشئها أهل الخير ،أو

كبار رجال الدولة من أموالهم الخاصة ،ويوقفون عليها أوقافاً لتسييرها و تغطية نفقاتها التي تصرف على تجهيزها بما هو ضروري ،و توفير أجرة قارة للشيخ الذي كان يخصص جل أوقاته معتكفا داخل الزاوية خدمة للعلم و كذا على إيواء و إطعام الطلبة و المسافرين و أبناء السبيل و المحتاجين ، وكانت توكل مهمة إدارة و رعاية الزاوية إلى ناظر أو جماعة من المساعدين ،و يحدد الموقوفون في عقودهم الأوجه التي تصرف فيها عوائد الأوقاف و طريقة إدارتها(بلعربي، 2005، ص226).

انتشرت الزوايا في بلاد المغرب الأوسط بشكل ملفت للنظر بداية من النصف الثاني من القرن 7هـ/13م نتيجة لانتشار التصوف وتعدد اتجاهاته(بوشقيف،2004،ص54)،فقد كان سلاطين المغرب الإسلامي، يعتقدون بالأولياء ويقدرونهم ويحترمونهم، ويتقربون إليهم بمختلف الوسائل، لنيل بركاتهم وحتى أبناءهم كانوا ينالون الحظوة والاحترام، قد كان ظهور الزوايا بعد سقوط الدولة الحمادية (ابن خلدون ،2000،ص 227)، حيث قامت بدور تربوي وتعليمي واجتماعي، أما تسير الزوايا فكان يعتمد على العمل التطوعي في إطار التسيير الذاتي برئاسة شيخ الزاوية الذي يساعده الطلاب (الحسيني،2009،ص93)، وتعاظم دورها مع تراجع دور السلطة المركزية حتى أصبحت تشرف اشرفا تاما على المجتمع من خلال قيامها بمهام التدريس والتعليم والرعاية الاجتماعية، كما كانت تقوم بتعبئة الناس للجهاد ضد الوجود الأجنبي،(الحسيني،2009،ص93).

ويمكن تعريفها أيضا بأنها مدرسة دينية، ودار لضيافة الأغراب، وتعتبر مراكز لمشايخ الطرق الصوفية مخصّصة للعلم، والثقافة العربيّة الإسلاميّة في مراحل الدراسة، وكانت الزوايا تبنى من قبل رجال الطرق الصوفية و كبار رجال الدولة أو تشترك جماعة أو أفراد قبيلة في انشائها (بوشقيف، 2004 ،ص54)، وعرفت بعد ذلك في المغرب العربي بأنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها مريدوهم لذكر الأوردة، كما كانت تتخذ مأوى لطلبة القران والتعليم، يقصدها الناس للاستشفاء، أو الصلح بين المتخاصمين وكثر هذا النوع من الزوايا ابتداء من القرن10هـ/16م، بعد هجمات البرتغال والأسبان على

شواطئ المغرب العربي (الحسيني،2009،ص93)، استعملها الصوفية وسيلة من الوسائل الهامة لنشر مذهبهم الصوفي، بل إن إنشاء الزوايا نقل التصوف من مرحلة أخرى من التصوف النظري(القاسيمي،2009،ص25) إلى التصوف العلمي (القاسيمي،2009،ص21-22) الذي عرفته بلاد المغرب الإسلامي منذ 8هـ/14م،وقد لا يشتهر العالم بالعلم ولا نعرف له تلاميذ أو مؤلفات، وهذا أمر نادر لأن الغالب هو أن مؤسسي الزوايا كانوا على مستوى عالٍ من العلم والفقه في الدين، لكنه أسس زاوية أدت دورا في الوسط الذي أنشئت فيه،من تحفيظ القران وتعليم العلم ونشر الطريقة الصوفية(القاسيمي،2009،ص22)، فقد تنتشر في مختلف بلاد المغرب الأوسط في مدنه الكبرى و أريافه وكانت تحتوي على مكتبات غنية بالمؤلفات في مجال العلوم الدينية (سعد الله،1985،ص425)، وقد وردت في بعض النصوص التاريخية على بعض أسماء زوايا مدينة تلمسان(البكري،د.ت،ص76) خلال هذه الفترة،غير أنها لا تعبر عنها جميعا ولا عن زوايا المدن الأخرى المشكلة للمغرب الأوسط، لاسيما بعد انتشار التصوف في وكثرة رجاله خاصة في هذه الفترة، وبعد أن صارت الزاوية تنافس المدرسة والمسجد في التعليم، نذكر منها :

1.3 المؤسسات التعليمية:

أولا: زوايا تلمسان: زاوية الأمير أبي يعقوب:أما الزوايا التي تحمل مفهوم المدرسة الدينية بالأساس، فيعود ظهورها الى القرن 8هـ/14م، حيث أنشأ السلطان أبو حمو موسى الثاني سنة765هـ/1363م(التنسي،1985،ص178)، على قبر والده أبي يعقوب وقبر عمه أبي سعيد ابي ثابت(بوداود،2003،ص 97)، وعين على التدريس الفقيه أبا عبد الله الشريف التلمساني العائد من فاس (القلصادي،1978،ص104)، وجرى هذا الأمر في أجواء احتفالية على عادة بني زيان في تدشين مثل هذه المشاريع التي كانت تحظى بعناية السلطان نفسه(بن قربة،2007،ص151)،كما شيد أبو العباس احمد العاقل زاوية أبي علي الحسن بن مخلوف الذي أولاه اهتماماً كبيراً(التنسي، 1985، ص248)، وزاوية

سيدي الحلوي: هي التي أنشأها السلطان المريني" أبو عنان فارس "بشمال مدينة تلمسان (ابن مريم،1986م، ص68)،وزاوية سيدي أبي مدين بالعبّاد:وهي تظم بيوت المسافرين وعابري السبيل و طلبة مدرسة العباد المجاورة لها،وكان لهذه الزاوية أحباسا متنوعة من أراضي و بساتين حبسها عليها سلاطين دولة بني مرين(التنسي،1985،ص256)،وزاوية ابن البناء بتلمسان (التنسي،1985،ص248).

-زاوية أبي علي الحسن بن مخلوف أبركان: شيدها السلطان أبو سعيد عثمان في نهاية القرن 13م مزينة بالزخارف الجميلة (جوليان،1983،ص210)،أما القرن 9هـ /15م عرف هو الآخر تشييد العديد من الزوايا منها: زاوية الإمام محمد السنوسي بتلمسان(سعد الله،1998،ص265).

ثانيا: زوايا بجاية:

- زاوية أبي زكريا الزواوي: يبدوا أنها تأسست نهاية ق6هـ /وبداية ق7هـ ، حيث توفي صاحبها611هـ27،وقال الغريني: "...كان هذا الشيخ يدرس بزاويته علوم الحديث وعلوم الفقه والتذكير(الغبريني، 1979،ص 227)،وزاوية ابن يبكى: تنتسب الفقيه أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله بن طيب الازدي المعروف بابن يبكي ممن أهل قلعة حماد، تأسست خلال ق7هـ/13م بباب أميسون (الغبريني، 1979،ص 213).

ثالثا: زوايا قسنطينة:

-الزاوية الملارية (ابن قنفد،1983،ص7) أسسها الفقيه يوسف بن يعقوب بن عمران الملاري:680-764هـ/1271-1363م، أبو يعقوب فقيه من كبار الصوفية، وكانت له مكانة مرموقة عند بني حفص أصحاب افريقية، وهو جد ابن قنفد صاحب كتاب "الوفيات " لأمه، وكانت له زاوية بملارة على مرحلتين الى الغرب من قسنطينة ودفن بها.

رابعاً: زوايا الجزائر:

-زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي(قسوم،1978،ص29) بنيت في ق 9هـ /15م صاحبها، والياء صالحاً عالماً بالزهد والتصوف.

خامساً: زوايا وهران:

-زاوية سيدي الهواري: عرفت مدينة وهران ازدهارا في الميدان الثقافي، خاصة في القرن التاسع الهجري، الموافق للخامس عشر الميلادي، عندما استقر بها محمد بن عمر الهواري وأسس بها زاوية، وهو ما يؤكده ابن صعد بقوله: كان لا يخلوا مجلسه من معارضة علمية ومحاضرة أدبية (حساني،2009،ص 235)، أي لم يقتصر التعليم في هذه الزاوية على التصوف فقط، وانما شمل مجموعة من المعارف سبق لشيخنا ان أخذها من شيوخه في كل من بجاية وفاس(حساني،2009،ص235-236)، وزاوية سيدي إبراهيم التازي: تولى تسيير شؤون الزاوية بعد وفاة شيخه الذي كان من أقرب المقربين إليه، لذا لعب دوراً مشرفاً في تطور الحركة الفكرية(حساني،2009،ص236)، وهو ما يؤكده ابن صعد بقوله: أقام التازي في وهران سوق الأدب، وبنى بها معالم الإسلام،والإيمان ورتب المواسم الشرعية، وركز على الآداب المدنية والدنيوية، وفضل أهلها عما كانوا عليه من التدني في الحضارة فاتسعت وعظمت فيها العمارة، وارتحل اليها كثير من اهل الجزيرة(حساني،2009،ص236).

لم يقتصر التصوف وانتشار الزوايا على المدن الكبرى للمغرب الأوسط خلال هذه الفترة، بل تعداه إلى القرى، خاصة في القرن 9هـ / 15 م نتيجة ظهور ما يسمى بالتصوف الشعبي ومن أشهر زوايا الأرياف آنذاك:زوايا أعراب بني سويد وبني عامر، الذين تقووا في القرن 9هـ / 15 م، وزاوية سعادة الرحماني بمنطقة طولقة في بلاد الزاب، زاوية البطحاء(ابن مرزوق،1981،ص411)،التي أسسها الشيخ سيدي سينا. وكانت تستقبل حوالي خمسمائة مريد وتتكفل بإيوائهم وإطعامهم وتعليمهم(ابن مرزوق،1981،ص413)،، وهناك أماكن تحولت إلى زوايا مثل قصر إيسلي الذي تحول إلى زاوية بعد أن وفد عليه زهاد وانقطعوا فيه للعبادة، وأصبحوا يحصلون على طعامهم وشرابهم من قبائل الأعراب وحتى من ملوك تلمسان.

2.3 دورها التعليمي:

ساهمت في تخريج العديد من العلماء والفقهاء والمتصوفين ومع مطلع القرن 9هـ / 15 م ، عظم دور الزوايا .الشعبية وزاد انتشارها في البوادي، فكان لذلك تأثير في تقليص الفوارق التعليمية بين الأرياف والمدن، وكان ظهور الزاويا في عهد الموحدين لتحل محل الرباط(إسكان،1988، ص84)، بمبادرة رسمية وشعبية ،غير أن الزاوية الرسمية تختلف عن الزاوية الشعبية التي يتزعمها متصوفة، فالزاوية التي تنشئها السلطة هي مكان لإطعام المحتاجين والواردين من الغرباء والتجار وإيوائهم (فيلالي،2002،ص350)، بينما الزاوية الشعبية التي يؤسسها زعماء التصوف، تكون مكان لإيواء واطعام الصالحين والمريدين، ويتلقون التعليم الديني والوعظ على يد إمام الزاوية الرسمية، وعلى يد شيخ الزاوية الشعبية (فيلالي،2002،ص84)،التي كانت تقزم بتعليم الصبيان، إلا أن التعليم الصناعي أو الاحترافي، كان قليلاً فيها، إلى غاية القرن التاسع الهجري، الموافق للقرن الخامس عشر الميلادي حيث بدأ التعليم الرسمي فيها يزدهر بسبب انتشار نفوذ الزوايا، وهيمنة شيوخها على عقول الناس، وكثر نشاطها في البوادي، وبالتالي أصبحت تساهم بقسط كبير ،في تضييق الفوارق التعليمية والثقافية بين سكان الريف وسكان المدن، وقد استطاعت أن تطبع هذا التعليم بطابع التصوف، وتجمع بين تدريس علم الظاهر وعلم الباطن أي بين ثقافة الفقهاء وثقافة المتصوفة (العروي،2009،ص29) أما على المستوى التربوي فان الزاوية تربية روحية ووجدانية، بالنسبة للمتعلم والأمي، الرجل والمرأة، البالغ والقاصر، والشيخ والمريد. كما أن تربية الزاوية هي في الأساس انقياد واعتقاد،خضوع ونية،بهاتين الخصلتين يتم الشفاء والهناء والقناعة، ففي الزاوية يجد الفرد المساعدة والمواساة، الاعتبار والمساواة، النصيحة والإرشاد،بشرط أن تحسن النية ويتم الانقياد (اطلب تعط)، النية تحول الأسباب إلى وسائل(سعد الله، 1998،ص 265)، ومن هنا كانت أكثر الوظائف التي اضطلعت بها الزوايا هي وظيفة التعليم و التربية، حيث لعبت دور المركز العلمي الذي كان له الأثر الأكبر على مستوى تلك الحركة العلمية و الإشعاعية التي

شهدتها المنطقة، وكانت الزوايا إطارا جديدا نافس المدارس الحضرية في العهد العثماني و من بعده العهد الاستعماري وساهمت بوصفها مدارس أو مؤسسات تعليمية في المحافظة على مقومات الأمة (الجزائرية) بأبعادها، كما حاربت الأفكار الخاطئة (باستثناء الزوايا البدعية) و بالتالي حملت الزوايا هموم البنيان و ذات اهتمامات تطبيقية(ابن مريم، 1986،ص236) وفي هذا الإطار يمكن إعطاء النموذج بعدد من الزوايا التي جعلت من وظيفة نشر العلم وتدريسه نقطة ارتكاز أساسية لتفعيل إستراتيجيتها الرامية إلى تربية المريدين و التوسع داخل المجال و بسط النفوذ الروحي للزاوية على القبائل في الأرياف، التي كانت في أمس الحاجة إلى من يؤمن لها حد أدنى من الثقافة الدينية و العلمية أيضا .

عملت بعض القبائل والأغنياء على تأسيس الزوايا لرجال متصوفة صالحين، ووقفوا عليها من ممتلكاتهم خاصة الأراضي التي يقومون بخدمتها ودفع غلتها لهؤلاء المرابطين(الزياني،1979، ص60)، كما فعل بنو راشد المتواجدون بنواحي سهل الشلف الذين وفدوا على سيدي لحسن بفرس وبغلة، ورحلوه معهم الى مضاربهم حيث انزلوه عنده وبنوا له مدشراَ وحبسوا له أرضاً (بن حمدة،1995،ص29) وأسس في هذا السهل كذلك زاوية ابي العشاشي(الخطيب،2008،ص 281) لقد أدت الزاوية في بادئ أمرها دوراً ريادياً خاصة في القرن الثامن واوائل القرن التاسع ،فساهمت في نشر العلم وأوكلت لها مهمة تحفيظ القرآن الكريم وتدريس مختلف العلوم سواء النقلية أو العقلية خاصة الفرائض والحساب (الونشريسي،1981،ص292)، قد عهد بالتعليم في الزاوية لكبار العلماء كابي عبد الله احد كبار الاعلام المشاهير الذي كان يدرس بزاويته الحديث والموطأ (Brignon,1982:199)، كان الطلبة يفدون على الزاوية من أجل التعلم فينهلون من معارفهم، ويتمتعون بالإقامة في بوتها (Brignon,1982,p405) إن ابرز ما يميز هذه الفترة انتشار الزوايا بشكل واسع واقتحامها ميدان التعليم، الذي لم يكن في صالح الحركة الفكرية والعلمية، بحيث صار التعليم بسيطا وسطحيا، وأغلق باب التعمق والاجتهاد

والتحصيل الجاد الأصيل، انتقل التعليم إلى الزوايا أدى إلى الاكتفاء بالحد الأدنى من المعارف العلمية، وبطريقة بسيطة وجافة في كثير من الأحيان، ساهمت بطبيعة الحال في الركود الفكري ، حيث صارت الزاوية تنافس المدرسة والمسجد الجامع في نشر التعليم وكسب الطلاب والمريدين (حساني،2009، 406)، حذت حذوها المدرسة في تبسيط الدروس في التعليم في أواخر العهد الزياني حتى لا يفر الطالب إلى الزاوية، وجعلت هذه المهمة النبيلة مجرد وسيلة للتنافس من اجل استقطاب الطلاب، وليس من اجل التحصيل والتعليم وترقية الحياة العلمية والفكرية (حركات،1984، ص 85) وظلت حركة رجال الزوايا أو المتصوفة ، مرتبطة بالحياة العامة للناس، وكان الكثير منهم تجردوا للحياة الروحية، واستمروا على هذا المنوال إلى أن أصبح التدخل الأجنبي المسيحي،يهدد دار الإسلام في القرن 10هـ/16م (السيد،1996،ص112) لذا كان الملوك والسلاطين يهتمون بزوايا الشيوخ الصالحين، والحبس عليها وتعميرها والنظر في مصالحها لدورها الهام في الحياة العلمية وحركة التصوف في المغرب الإسلامي(فيلالي،2005،ص405) ومن المعروف أنها كانت أيضا من المؤسسات العلمية الهامة في بلاد المغرب، فبالإضافة إلى كونها موضعا لاجتماع المتصوفة للعبادة والذكر، كان يقصدها الطلبة لتلقي العلم (فيلالي،2005،ص405) .

كانت الزاوية في مدينة تلمسان وحواضرها تخضع لنظام دقيق، حيث يلتزم على الطلاب والمريدين، أن يتحلوا بالانضباط والطاعة، وان يتقيدوا بتقاليد الزاوية، في نظام الدراسة والملبس والأكل، ومع منتصف القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، لم يكن التصوف قاصراً على الأوساط المثقفة، كما كان الحال عليه في القرنين السابقين ،قد أصاب التصوف نوع من التدهور والانحطاط، فاتجه به أصحابه إلى ضروب مختلفة من الطقوس والشكليات، وتعالت أصوات الجهلة من المريدين والتلاميذ في تعظيم الشيخ وشدة اقتداءهم به، وهو الأمر الذي جعل عدد كبير من الفقهاء المحدثين، يتصدون لمذاهب الصوفية وطرائق مشايخهم ويكرهون المتصوفة(فيلالي،2005،ص406) ، إن ابرز

ما يميز هذه الفترة انتشار الزوايا بشكل واسع واقتحامها ميدان التعليم، الذي لم يكن في صالح الحركة الفكرية والعلمية، بحيث صار التعليم بسيطاً وسطحياً، وأغلق باب التعمق والاجتهاد والتحصيل الجاد الأصيل، انتقل التعليم إلى الزوايا أدى إلى الاكتفاء بالحد الأدنى من المعارف العلمية، وبطريقة بسيطة وجافة في كثير من الأحيان، ساهمت بطبيعة الحال في الركود الفكري ، حيث صارت الزاوية تنافس المدرسة والمسجد الجامع في نشر التعليم وكسب الطلاب والمريدين(السيد،1996،ص112) حذت حذوها المدرسة في تبسيط الدروس في التعليم في أواخر العهد الزياني حتى لا يفر الطالب إلى الزاوية، وجعلت هذه المهمة النبيلة مجرد وسيلة للتنافس من اجل استقطاب الطلاب، وليس من اجل التحصيل والتعليم وترقية الحياة العلمية والفكرية (حركات،1984،ص85)، ظلت حركة رجال الزوايا أو المتصوفة، مرتبطة بالحياة العامة للناس، وكان الكثير منهم تجردوا للحياة الروحية، واستمروا على هذا المنوال إلى أن أصبح التدخل الأجنبي المسيحي، يهدد دار الإسلام في القرن العاشر الهجري، السادس الميلادي(السيد،1996،ص112)، ومن المعروف أنها كانت أيضا من المؤسسات العلمية الهامة في بلاد المغرب، فبالإضافة إلى كونها موضعا لاجتماع المتصوفة للعبادة والذكر، كان يقصدها الطلبة لتلقي العلم (السيد،1996،ص117).

4. خاتمة:

يمكن القول إن الزوايا لعبت دورا مهما في نشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف مع بداية القرنيين 7-8هـ/ الهج13-14م فبرز من خلالها فقهاء متصوفة كان لهم باع في تلك الفترة، جمعهم ابن مريم " البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان " ويحي بن خلدون " بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد" ، محمد بن عبد الله التنسي، "تاريخ بني زيان ملوك تلمسان "(مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان) ، لعبت مؤسسة الزاوية وعبر فترات تاريخية دوراً فعالاً، فحاولت على المستوى الشعبي خلق توازن

بين طبقات الفقراء والأغنياء، وعلى المستوى الديني كانت المؤسسة دائماً تمثل الطبقات الشعبية الفقيرة خاصة التي كانت تفد الزاوية قاصدة التعلم وحفظ القرآن الكريم ،وقد عملت جاهدة للحفاظ على الإسلام الصحيح وذلك عن طريق الفتاوى ومحاربتها للبدع والشعوذة ،كما عملت على اصلاح الأفراد من الانحراف عن الشرع.و إن الزوايا في الجزائر هي التي حفظت لهذه الأمة المسلمة قرآنها ولغتها ودينها وأخلاقها الإسلامية ، إلى جانب ما قامت به من جهاد ودعت إليه وجندت له أتباعها، إذ ما من ثورة أو انتفاضة أو مقاومة أو جهاد إلا وهو مقرون باسم شيخ زاوية أو زوايا، ويشهد التاريخ النزيه أن شيوخ الزوايا وأبناءهم من تلاميذ ومريدين كانوا أسرع من غيرهم مبادرة لجهاد العدو الإسباني، والإيطالي والفرنسي.

قائمة المراجع في نهاية البحث:

1. *ابن منظور ،(د.ت)، لسان العرب ، دار المعارف ،ج3، القاهرة.*
2. *ابن خلدون، عبد الرحمن،(2000) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ،ج 6 ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د .ط، بيروت .*
3. *ابن مرزوق ،محمد،(1981) ، المسند الصّحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر.*
4. *ابن مريم ،أبو عبد اللّه محمد بن أحمد ، (1986)،البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب ، نشر: عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر.*
5. *ابن قنفد القسنطيني ،ابي العباس احمد بن حسن بن علي الخطيب،(1983) ،كتاب الوفيات، معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة11-807ه، ،تحقيق:عادل نويهض،الطبعة الرابعة، منشورات دار الافاق الجديدة ،بيروت.*
6. *إسكان، الحسن،(1988)، جوانب من تاريخ التعليم في المغرب الوسيط بين ق7-9هـ، كلية لآداب، جامعة محمد الخامس،الرباط.*
7. *الحسيني ،الشريف كمال دحومان،(2009) ، أشراف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع الجزائري، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.*
8. *الحسيني ،عبد المنعم القاسيمي،(2007) ، أعلام التصوف في الجزائر، منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي ، الطبعة الأولى 1427 ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية.*
9. *البكري ،أبي عبيد اللّه ،487هـ، المغرب في ذكر بلاد افريقية، والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي،القاهرة.*

10. التنسي ،محمد بن عبد الله،(1985) ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب ،والمكتبة الوطنية الجزائرية،
11. القلصادي ،أبو الحسن علي ،(1978)،رحلة القلصادي، المسماة :تمهيد الطالب ومنتهى الراغب الى اعلى المنازل والمناقب، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع تونس.
12. الغبريني ،أبو العباس احمد أحمد بن أحمد بن عبد الله (1979)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة الثانية ،منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت.
13. العروي ،عبد الله ، (2009)،من ديوان السياسة ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء ، المغرب ، بيروت ،لبنان .
14. الزياني، محمد بن يوسف،(1979) دليل الحيران وأنس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، المكتبة الوطنية الجزائرية ،الجزائر.
15. الخطيب ،ابن مرزوق،(2008) ، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق: سلوى الزاهري،الطبعة الأولى، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية ،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ،المغرب. .
16. الونشريسي ،ابي العباس احمد بن يحي ،(1981)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى الأندلس والمغرب، ج7 ،اشراف:محمد حجي،نشر اشراف شؤون الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية.
17. بلعربي ،خالد،(2005) ،الدولة الزيانية الدولة الزياية في عهد السلطان يغمراسن دراسة تاريخية و حضارية (633-681 هـ/ 1235-1282م)، مطبعة الريان، الطبعة الأولى،تلمسان.
18. بوشقيف ،محمد،(2003-2004) ، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (9هـ-15م) (مرقونة)، رسالة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.
19. بوداود ،عبيد ،(2003)، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13-15م)،دار الغرب ،وهران.
20. بن حمدة ،وسيلة بن بلعيد،(1995) ، الزاوية ودورها التربوي والاجتماعي،الهداية،العدد4،السنة 19.
21. جوليان ،شارل أندري،(1983)، تاريخ إفريقيا الشمالية،ج2، تعريب: البشير بن سلامة ومحمد مزالي: الدر التونسية للنشر.
22. حجي ،محمد،(1988) ، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي ،مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية..
23. حركات ،إبراهيم،(1984) ، المغرب عبر التاريخ،ج2، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء.
24. حساني، مختار ،(2009)، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية، ج2، منشورات الحضارة،الجزائر

25. كمال السيد ،أبو مصطفى، (1996)،جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار للونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب
26. موبوش ،احمد(د.ت) ، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 ، الجزائر
27. سعد الله ،أبو القاسم ،(1985)، تاريخ الجزائر الثقافي (من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري)،16-20م ،ج1 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر
28. عميراوي، احميدة، (2006) ،من ملتقيات التاريخية الجزائرية،ط2،دارالهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر.
29. فوىال ،سعاد ،(2010)، المساجد الأثرية في الجزائر ، دار المعرفة، الجزائر .
30. فيلالي ،عبد العزيز،(2002)، تلمسان في العهد الزياني، جزءان، موفم للنشر، الجزائر.
31. صالح بن قربة وآخرون،(2007)، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، وزارة المجاهدين، الجزائر.
32. قسوم ،عبد الرزاق،(1978) ، عبد العزيز الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
33. Jean Brignon, histoire du maroc. Ed Hatier.casablanca.1982.